

حب النبي ﷺ في شعر اقبال

☆ الدَّكتُورَة نِجْمَه بَانو

☆☆☆ الدكتور الحافظ عبد الغني الشيخ

سعيده بانو

إن العالمة محمد اقبال، شاعر الشرق والإسلام. قد كان شاعراً نابغاً و مفكراً إسلامياً و فيليسوفاً بارعاً وهو الذي جاء بفكرة إنشاء باكستان كما أنه نادى بالوحدة الإسلامية و الحرية الشاملة للبشرية كافة، فهو قايد و مفكير في نفس الوقت ولكن، فوق ذلك كلّه، هو شاعر فذ قد تناول شتى فنون الشعر فأبدع فيها ومن ذلك مدحه لرسول الله ﷺ وهذا الجانب من شعره هو موضوع حديثنا الآن و سوف تناوله على وجه الإجمال والاقتضاب لأنّه لم يأت بديوان مستقل في المدح النبوى كما أنه لم يتعاجل المطولات من القصائد الشعرية على دأب شعراء العرب والعجم أو على منوال شعراً إلهاً بالاردية وغيرها من اللغات الإسلامية إلا أن اقبال قد أبدع قطعات شعرية رائعة وأبيات مفردة نادرة لن تجد لها مثيلاً أو نموذجاً عند غيره من الشعراء و إنما هي أبيات وقطعات شعرية نجد لها متفرقة مبعثرة في طيات دواوين اقبال الشعرية المتنوعة كما أننا نجد اللاؤ و الحواهر متاثرة في أعماق البحار، وبرغم ذلك فأشعاره تمثل قمة في المدح النبوى.

وقد مدح أقبال النبي ﷺ لأنّه كان قد رزق بحب الصادق العميق وقد كان هو صادقاً في مدحه له ﷺ لأنّه كان قد يؤمن أقبال إيماناً صادقاً قوياً وأنّه كان قد عرف بأنّ مستقبل المسلمين والناس جميعاً إنما هو يقتصر على الإيمان والاتّباع بما جاء به المصطفى ﷺ من الدين الإسلام الذي يضمن الحياة الكريمة الفاضلة للناس جمعاً.

ليس ايمان الإيمان الحاف الخشب، الذى هو فقط عقيدة أو تصديق بسيط، بل هو مزيج اعتقاد وحب، يملك عليه القلب والمشاعر والنفكير، والإرادة والتصرف والحب والبغض. وقد كان شديد الإيمان بالإسلام وقوى العاطفة، شديد الإخلاص والإجلال لرسول الله، متفانيا في حبه مقتضاها بأنّ الإسلام هو الدين الخالد الذي لا تسد الإنسانية إلا به، وأنّ النبي ﷺ هو خاتم الرسل والبصیر بالسبيل، وامام الكل - (١)

الأستاذة المشاركة، كلية الحكمة للنساء، مدينة تأمين فيصل آباد۔

☆☆ مدير إدارة اللغات جامعة جامشورو السنده.

☆☆☆ محاضرة جامعة الكلية الحكومية للنساء فيصل آباد۔

حب النبي ﷺ في شعر اقبال

كل شاعر له أسلوب شعري كالعاشق فقط لكن منهم يخيل نفسه محباً للرسول ورسول الله ﷺ محبوب له ويشتري على حماله وحسناته وملامع وجهه في الغالب ويترك أو صافه الروحية وفضائله الأخلاقية، ولكن أقبال قد بدل الشعر المدحى بالشعر القومي، معتبراً عن المصائب والآلام التي كان المسلمين يواجهونها في عصرهم فقد عرضها العالمة أقبال على رسول الله ﷺ واحداً بعد واحداً طلب منه حلّها بدعاته لأمتة.

كان أقبال فيلسوفاً، نابغاً، مفكراً عظيماً، شاعراً مبدعاً، زعيمـاً سياسياً ومحباً للنبي ﷺ. وليس له ديوان معين في مدح سيدنا رسول الله ﷺ ولا نحدّ له قصائد طويلة في المديح النبوى الشريف بل توجد الأيات المدحية في شعره متفرقة.

حذق إقبال علم الغرب ثم أبلغ المسلمين الرسالة التي بصرّتهم بحقيقة الإسلام وعظمه وملأ قلوب الشاب الغافل النائم بحب المصطفى ﷺ والقرآن - وكان إقبال طروبا في حب النبي ﷺ وهذا هو سبب انسجام شعره مع حياته ونجد كثيرا من المواقف في حياته التي تدل على علاقته الصادقة بالحبيب المصطفى ﷺ .
يقول في ارمغان حجاز :

يقول في ارمغان حجاج :

“أنت الذي جلبت النظر إلى عيني أنت الذي جئت بنور لا إله” واجهني بصبح من رأني” (٣) فأنت الذي جئت بنور العمر لليلي.

وكان العلامة يومن بأنه يمكن نجاح الدنيا والآخرة في حب العبيب عليه السلام ومن هذا دعا شاعرنا الأمة الإسلامية إلى حب الرسول وبين عظمة حب سيدنا رسول الله عليه السلام فيمن أبياته الفارسية والأردية.

بھٹکے ہوئے آہو کو پھر سوئے حرم لے چل

“أهد الغزال الضلال إلى المدينة المنورة”

وفي الأشعار الآتية يدعو إقبال الأمة الإسلامية إلى حب النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتباع سنته - عليه الصلوة والسلام:

سازمان اسناد و کتابخانه ملی

دریں نیلی فضا ہر دم فزد شو

(5)

حب النبي ﷺ في شعر إقبال

مقام خويش أَگر خواهی درین دهر

بحق دل بندوراه مصطفی رو (٤)

”اقطع منازل سفرك كفمر حديد وأکبر في هذا الفضاء الأزرق لو أردت مقامك في هذا العالم“

فأوثق قلبك بالحق واسلوك سبيل الحبيب المصطفى ﷺ.“

ويقول في ”پیام مشرق“ :

هر که عشق مصطفی سامان اوست

بحروبردر گوشہ دامان اوست (٥)

”كل من يكون متاعه حب الحبيب المصطفى ﷺ يكون البر والبحر في طرف ذيله.“

هنا يحضر إقبال ضريح الحبيب ﷺ ويطلب منه كرمته وفضله بعد ذكر حرماته :

بهر دهليز تو از هندوستان آورده هم

سحده شوقي که خون گردیده در سیماي من (٦)

”إليك جئت في وجود محمد سيماء فوق تفور.“

وفي اسرار خود يقول :

در دل مسلم مقام مصطفی است

آبروئی ما زنام مصطفی است (٧)

”مهجة المسلم مثوى المصطفى عزة المسلم ذكرى المصطفى.“

وفي بعض أشعاره يشكو إقبال إلى روح رسول الله ﷺ حزن الأمة الإسلامية وضياعها . ولم تبق حلاوة التحمس و

انطفاء شعلة الحياة والإيمان في نفوس العرب . ويقول :

لقد انتشر نظم امتك يا محدثا! رسول الله ﷺ و بمن يستدعي ويلحاء المسلم الكثيف والحزين والى من

يأوى ويستجده منه عونا؟ لقد سكن بحر العرب الباهج المضطرب، وغابت من الأمة العربية ذلك الحب والشوق

واللوع الذي عرفت به فالى من اشكو حزني والمى؟ وماذا يفعل حادى امتك، وقد ضلل سبيله، وانقطع من القوافل

وغابت المطاييا وقد انتهى زاده و متاع السفر بالله! كل لى ماذا يفعل رائد امتك و حامل دعوتك والى اى مكان

يخلو سبيله، والى من يغادر وain يحدركبه؟

يخاطب اقبال الأمة الإسلامية داعيا إلى حب الحبيب ﷺ ويقول:

حرز جان کن گفتہ خیر البشر
هست شیطان از جماعت دور نز (٨)

”واحفظن ما قاله خير البشر كل شيطان من الجمع نفر.“

وفي المنظومة ”ايك حاجي مدینے کے راستے میں“ يقص قصة الشاب الذي خرج من بيته فاصدا زيارة المدينة المنورة. وفي الطريق نبهت قافلته وقتل ذالك الشاب. ثم يعرض الشاعر أمامنا مشاعر الحاج الآخر ويشجعه باستمرار سفره ويقول لنفسه لا تحف لأنّ :

خوف جاں رکھتا نہیں کچھ دشت بیائے حجاز
ہجرت مفعون یثرب میں یہی مخفی ہے راز (٩)

”لا يخاف الذاهب إلى القفار على حياته وتستحلى هذا السر من هجرة رسول الله ﷺ.“

وفي ”شفاعانه حجاز“ يلقن اقبال درس محبة النبي ﷺ بأسلوب بديع عند ما يطلب أحد الوعاظين من

اقبال معونات مالية لتأسيس المستشفى في الحجاز، يحبب اقبال قائلاً :

اوروں کو دیں حضورا یہ پیام زندگی
میں موت ڈھونڈتا ہوں زمین حجاز میں (١٠)

”يا سيدى ابشر بالحياة غيرى، أما أنا فأتمنى أن أموت فى أرض الحجاز المقدسة.“

وكان اقبال يتخيل أنه مسافر إلى مكة والمدينة - شرفهما الله - يسير به الركب على رمال وعسا،
يتخيل، بشدة شوق وحبه، أنها انعم من العزير و إن كل ذرة من ذراتها قلب يتحقق، فيطلب من السائق أن يمشي
رويداً ويرفق بهذه القلوب الخفافة. ثم يسعد بالمثلول بين الرسول ف يصلى ويسلم عليه بما يفتح الله به عليه. وينتهي
الفريضة، فيحدثه عن نفسه، و بلاده، والفترا التي يعيش فيها، وعن امته، وعن الازمات، المشكلات التي تتعانها، وما
فعل بها الزمان وطوارق الحدثان. (١١)

وفي المنظومة ”جواب شکوئی“ نجد أروع نعاذج في مدحه ﷺ يقول :

قوت عشق سے ہر پست کو بالا کر دے
دہر میں اسم محمد سے آجالا کر دے (١٢)

حب النبي ﷺ في شعر اقبال

”فِيْقَوْةُ الْعُشُقِ سَيْطَرَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِيْبَاسِمِ مُحَمَّدٍ تَحْمِلُهُ شَمْسُ الْبَرَاءِ.“

ويقول في موضع آخر: (١٣)

عقل ہے تیری پر، عشق ہے شمشیر تیری
 میرے درویش! خلافت ہے جہاں گیر تیری
 ما سوی اللہ کے لئے آگ ہے تکبیر تیری
 تو مسلمان ہو تو تقدیر ہے تدبیر تیری
 کی محمد سے وفا تو نے تو ہم تیرے ہیں
 یہ جہاں چیز ہے کیا لوح و قلم تیرے ہیں (١٤)

”خلافة هذه الأرض استقرت بمحدثك وهو للدنيا سماء وفي تكبيرك القدس يبدو صغيراً كل
 ما ضمّ القضاء فيما من هبّ للإسلام يدعو وأيقظ صدق غيرته الوفاء سترفع قدرك الأقدار حتى
 تشاهد أنّ ساعدك القضاء وقيل لك احتكم دنيا وأخرى وشأنك والعلود كما تشاء.“

زار اقبال قبر حكيم سنائي عند زيارته افغانستان في نوفمبر ١٩٣٣م وأنشد الغزل الذي في آخره أبيات

عديدة في مدح سيدنا رسول الله ﷺ:

عجب کیا گرمہ دپوین مرے ٹھیر ہو جائیں
 کہ بر فراز صاحب دولتے ستم سر خود را (١٥)

”إن أصيده القمر والنحوم فلا عجب فيه لأنني صرت صيد حبيبي وصاحببي.“

وہ داتائے سبل ختم الرسل مولائے کل جس نے

غبار راہ کو بخشنا فروغ وادی سینا

”إنه هو علام سبيل الهدایة وخاتم النبیین وسولا وامام الكل الذي وطأت قدمه الحصباء“

”واعطى ذرات رمل المدينة المنورة شرقاً يضاهى شرف واد سيناء.“

نگاہِ عشق و مسی میں وہی اذل وہی آخر
 وہی قرآن وہی فرقان وہی تیین وہی طہ

”هو الأول (في الخلق) والآخر (في البعث) عين الحب والغرام، وهو القرآن والفرقان وهو“

حب النبي ﷺ في شعر اقبال

الذى يسمى يس وطله

ولقد تناول أقبال واقعة المراج و هذه معجزة مهمة في التاريخ الاسلامي و كتب التفسير والحديث والسيرة والتاريخ مليئة بالأبحاث عنها.

وقد أدرك أقبال بعد تفكير حقيقة جوهرية في هذا المعراج ربما قد تكون خفية على كثير من المسلمين فيقول:
 سبق ملا هي يه معراج مصطفى س مجھے
 کہ عالم بشریت کی زد میں ہے گردوں (۱۶)

“قد علمت من مراجـع النبـي - عـلـيـهـ الـسـلـامـ - أن البـشـرـ يـسـطـعـ أـنـ يـتـغلـبـ عـلـىـ السـمـوـاتـ الـعـلـىـ.”

و يقول نجيب الكندي : (١٧)

ان الذرية الضئيلة الهزيلة اذا سرى في كيانها الشوق لاقت الصقر القوى الجسورة، ساحرة منه هازة بقوته،
فيقرّ من امامها، ولا عجب في ذلك، فان الحماس قد قلب أنفاسها الوادعة الى شر متقى، وهكذا المسلم الحق اذا
ما اعتصم بالشوق والعشق وكانت له غايات ومقاصد أصبح كالسهم المسلط الذي تسمى غايته عن التوافه والصفائر،
فهي غاية لا شبيه لها غير الكواكب، في علوها، وفي المعراج أسرار هذا العضق، ومحى قوة الروح العاشقة.

وذرة طار فيها الشوق صاعدا

تغیر في عرصات الشمس والقمر

يا الموج ... تلاقى الصقر مقدمة

درجة تملأ الأنفاس من شرار

ال المسلم السهم والأفلام غايتها

سراير الروح في المعاراج فادكر

ويتبع أقبال نفس الخطوات التي سار عليها سيدنا حسان بن ثابت وكل لفظ يخرج من قلمه يحمل رسالة حب العبيب عليه السلام.

يقول:

لوح بھی تو، قلم بھی تو، تیرا وجود الکتاب

گند آگینہ رنگ تیرے مچط میں حباب

”يا رسول الله! إن علم اللوح والقلم من علومك، وإن شخصية قرآن صامتة، وإنك محظوظ

بالآفاق، بعلّمك وكمك، حمتك، والسماء الزرقاء كالحجاب بين يدي سعتك - ".

(八)

أسلوب إقبال في مدح النبي ﷺ :

يقول الأستاذ شفيق منصور عن شعر إقبال :

”إنه خلال حديثه عن الفلسفة والأدلة الكلامية عندما يصل إلى ذكر رسول الله ﷺ ينسى

نفسه.“ (١٨)

لم يزل حب النبي ﷺ يزيد، ويقوى مع الأيام، حتى كان في آخر عمره اذا جرى ذكر النبي ﷺ في مجلسه أو ذكرت المدينة - على منورها الف سلام = فاضت عينه، ولم يملك دمعه . وقد ألهمه هذا الحب العميق، معان شعرية عجيبة منها قوله، وهو يخاطب الله سبحانه وتعالى- ”أنت غنى عن العالمين وأنا عبدك الفقر فاقبل معدراتي يوم الحشر، وإن كان لا بد من حسابي، فأرجوك يارب ان تحاسبني بمحنة من المصطفى ﷺ ، فاني استحق ان انتسب اليه واكون في امته ، واقتصر هذه الذنبونو المعافي-“ (١٩)

- يظهر في شعره لوعة حبه للنبي ﷺ وتذمر أحوال الأمة الإسلامية ومخاطبته لسيدنا رسول الله ﷺ عن هذه الأحوال .
ويرى إقبال أن مقصود إيجاد الخلاق هو رسول الله و كلّ العالم الإنساني يدور حول هذا المحور وهو يوفق بين مدح سيدنا رسول الله ﷺ وأحوال الأمة الإسلامية وهو يعرض عن الأساليب القديمة في مدح النبي ﷺ ويتذكر صوراً جديدة في الثناء على النبي ﷺ والتي يدأها أساساً الشاعر الهندي الكبير الطاف حسين الحالي إلا أن إقبال وصل في الحسن والإبداع لهذا الأسلوب مبلغ الذروة . وتتجدد نماذج لهذا الأسلوب خاصة في المنظومات ”ذوق شوق“ و ”بلاط“، و ”حضور رسالت مات مين“، و ”صديق“ وغيرها .

- يذكر إقبال أحياناً وقائع من التاريخ الإسلامي وإلى جانب الآخر يذكر سير أصحاب سيدنا رسول الله خصوصاً سيدنا بلاط . ويقارن بينه وبين الإسكندر والقيصر ويثبت أن حب الحبيب ﷺ أفضل من السلطة والمناصب ويذكر شهداء طرابلس وعلاقة أصحاب رسول الله معه ولا نجد هذه المنظومات الأسلوب الصريح في المدح ولكن يستقى ذلك ذكر مآثر وبطولة سيدنا رسول الله وأصحابه . وهذا الأسلوب أبلغ من غيره من الأساليب في التأثير على الناس .

- في بعض الأحيان نجده يمدح سيدنا رسول الله ﷺ بطريقة التي مدحه بها ربّه في القرآن :

آنکه مہتاب از سر گشتن دویم
رحمت او عام اخلاق عظیم (٢٠)

حب النبي ﷺ في شعر اقبال

وفي هذا البيت يبين اقبال خلق سيدنا رسول الله ومشيرا إلى الآية القرآنية :

”وانك لعلى حلق عظيم.“ (٢١)

يقول السيد يونس شاه : (٢٢)

”وأول هدف من المدح هو اظهار عظمة سيدنا رسول الله وإيضاح أهمية وضرورة بعثه أمام الناس. ومن هذه الناحية يستحق شعر اقبال كلّه أن يوصف بمدح سيدنا رسول الله- وبالأسلوب الذي يجعل مقصid النبوة وعظمت الرسالة - موضوع شعره - نادر في تاريخ الشعر.“

- أعطى إقبال شعر مدح الحبيب المصطفى البصيرة الحكمة ولا يقص لنافى شعره التدنى والعروج للأمة الإسلامية وجهود الحركات الإسلامية للنهضة. وهذه هي السمات العظيمة التي لا يوجد فيها كفوله ليس في الشعر الأردوى فحسب بل في الشعر العربى والفارسى أيضاً.

- أحد اقبال الأسلوب الشعري في مدح رسول الله من النظمى، والرومى والعجمى، والسعدى، والأنوارى، والعرافى، والعطار، وبيدل وغى كاشميرى، ومومن وشهيدى، وسودا، وأمير خسرو، هؤلاء هم الشعراء الذين قد تلقى العلامة اقبال منهم منهم جهم في التعبير عن الحب النبوى ﷺ .

فكان شعره في النبي الكريم ﷺ من أبلغ اشعاره وأقواها، وكان حشاشة نفسه، وعصارة عمله وتجاريه، وكان تقريراً عن امته. وتعبيرًا عن عواطفه.

وجملة القول إن اقبال كان شاعر النبي في شبه القارة الهندية وشعره مليء بحب النبي والفكر القرآني.

كما قال استاذنا الفاضل الدكتور ظهور اظهر في مقدمة كتابه اقبال العرب على دراسات اقبال : (٢٣)

”أما شعر اقبال فهو شعر اسلامي خالص بمعنى الكلمة لأنّه يقوم على الرسالة الحالدة التي جاء بها النبي العربي محمد ﷺ وهو يقوم على الفكر القرآني الطاهر فمنه اتخذ أسس الحياة والقيم الأخلاقية والمثل العليا و منه استعار المعانى والأفكار انك لتقرأ شعره الأردوى والفارسى فتحده و كأنه ترجمة لآيات القرآنية أو تعبير عن الحكم النبوية.....الخ“

الهوامش

-١- روايـع اقبال، ص: ٣٨-٣٧

-٢- ارمغان حجازـ، ص: ٥٢-

-٣- إشارة إلى الحديث: "من رأى فقد رأى الحق"-

-٤- ارمغان حجازـ، ص: ٦٥-

-٥- بيـام مـشرقـ، ص: ١٦-

-٦- نفس المرجـعـ، ص: ٩١-

-٧- اسرار خودـيـ، ص: ٤ ترجمـة للدكتور عبد الوهـاب العـزـامـ.

-٨- رموز بـينـخـودـيـ، ص: ١٢٤-

-٩- بـانـكـ درـاـ، ص: ١٧٣-

-١٠- نفس المرجـعـ، ص: ٢١٠-

-١١- روايـع اقبالـ، ص: ٤٢-

-١٢- نفس المرجـعـ.-

-١٣- نفس المرجـعـ.-

-١٤- نفس المرجـعـ، ص: ٢٢٠-

-١٥- بالـجـبـرـيلـ، ص: ٩٧-

-١٦- نفس المرجـعـ، ص: ٢٣٤-

-١٧- اقبالـ - الشاعـرـ السـائـرـ، ص: ٢٣-

-١٨- مـاهـنـامـهـ أدـبـيـاتـ إـبرـيلـ ١٩٨٠ـ، ص: ٢٤-

-١٩- روايـع اقبالـ، ص: ٣٧-

-٢٠- رموز بـينـخـودـيـ، ص: ٢١٢-

-٢١- سـورـةـ الـقـلـمـ: ٤-

-٢٢- أـرـدوـ مـيـنـ نـعـيـهـ شـاعـرـيـ، ص: ٤٥٠-

-٢٣- اقبالـ العـربـ عـلـيـ، درـاسـاتـ اقبالـ - مـقدـمةـ

